أيام الثقافة

الأيام — الثلاثاء ٢٠٠٩/١٠/١٣م الموافق ٢٤ شوال ١٤٣٠هـ العدد ٤٩٣٧ السنة الرابعة عشرة

AL-AYYAM Tuesday 13/10/2009 Issue No. 4937 Volume 14

عرض في إطار مشروع "مسارات" لمؤسسة "شاشات"

"فرط رمان الذهب" لغادة الطيراوي يثير جدلاً كبيراً بين جمهور المحافظات

رام الله – «أيام الثقافة»: لا يمكن أن يمر فيلم (فرط رمان الذهب) للمخرجة غادة الطيراوي مرور الكرام، وبالفعل هذا ما حدث عند عرضه في العديد من المحافظات، في إطار مشروع (مسارات) السينمائي لمؤسسة (شاشات) بدعم من الاتحاد الأوروبي، والذي يقوم على إنتاج عرض أربعة أفلام قصيرة عن نساء فلسطينيات، قام بإخراجها أربع مخرجات فلسطينيات بإشراف المنتجة علياء أرصغلي.

والفيلم يعالج بذكاء كبير، ورؤية فنية راقية ومبهرة، دمجت في الجانب السردي بين الحكاية الشعبية التي تحمل اسم الفيلم، وتضمنها كتاب (قول يا طير) للبروفيسور شريف كنعان، وبين الروايات الحقيقية لفلسطينيات تعرضن للتحرش الجنسي على يد واحد أو أكثر من أفراد أسرهن، في حين دمجت على صعيد التنكيك بين فكرة الراوي، حيث قامت سيدة بسرد حكاية (فرط رمان الذهب) الشعبية، وما بين روايات الضحايا، في حين تراوح التصوير بين السينما ذات الحساسية العالية والرسوم المتحركة التي أضافت للفيلم بعداً جعله أكثر قرباً من المتفرج، وأكثر تشويقاً في آن واحد.

الفيلم عرض في العديد من المراكز الثقافية والنسوية والجامعات، من بينها المركز الثقافي لتنمية الطفل في طولكرم، حيث أثار نقاشاً واسعاً كما العروض السابقة واللاحقة له، على مدار أسبوع... وقالت د. رجاء سرغلي، والتي أدارت النقاش: الفيلم فريد من نوعه حيث دمج الحكاية الشعبية مع روايات لنساء تعرضن للاضطهاد واتبعن سياسية الصمت التي كانت قديماً هي الوسيلة لتستمر في حياتها كيفما اتفق وتتبع المثل القائل «غلب بستيرة ولا غلب بفضيحة»، متسائلة باستنكار عن مدى نجاعة هذه الطريقة في الحياة.

من جهتها عبّرت مها حنون، مديرة المركز عن إعجابها بطريقة إخراج الفيلم، وقالت: لفت نظري أن الخوف هو المسيطر في الحكايات الشعبية والواقعية التي تضمنها الفيلم، متسائلة عن أسباب ربط الحكاية بالتحرش الجنسي فقط دون غيره من أشكال العنف الممارسة ضد المرأة، كما أشارت إلى أن الكذب صفة أقرب من الخوف والصمت في الحكاية الشعبية، لأن «فرط رمان الذهب» كانت تقول غير ما ترى، وهذا لا يتماشى مع شهادات النساء الأخريات الحقيقية... وهنا أكدت د. سرغلي أن الصمت في الحكاية ناتج عن خوف شديد كما هو الحال في حالات التحرش الجنسي وفي الحالة الأولى لا يمكن أن يصدق أن الأستاذ أكل طلابه وفي حالة النساء عادة في مجتمعنا تقع اللائمة على النساء حتى لو كن هن الضحايا... الحديث عن ما تتعرض له هؤلاء الضحايا يعتبر جريمة مجتمعية لا يمكن تجاوزها.

أما د. سهام ثابت، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، فأعربت عن إعجابها بالفيلم، وقالت: إذا كان هناك رسالة فهي أن البنت يجب أن تتسلح بالوعي قبل أن تخرج إلى معترك الحياة... الفيلم تعرض لأكثر انواع الاعتداءات خطورة، وهي زنا المحارم الذين من المفترض ان يكونوا هم عنوان الأمان، مشددة على أنه ليس من السهل ان يصدق المجتمع أن ما ترويه الفتاة رواية صادقة، مؤكدة: نحن بحاجة إلى تربية وتوعية وقوانين لحماية المرأة.

وفي وقت أكدت فيه رجاء القاروط على أن التركيز على الاعتداءات الجنسية داخل الأسرة يوحي بأن سفاح القربى بات ظاهرة في مجتمعنا، فقد قالت: أرفض مثل هذا الكلام فوجود بضع حالات ليس بالشيء الكثير، اعترضت د. سرغلي مشددة على أننا يجب ألا نعيش حالة من الصمت حتى تتحول هذه الحكايات إلى ظاهرة، وقالت: هي مشكلة وبحاجة لتسليط الضوء على أسبابها وعلاجها وما يظهر في الإعلام هو أقل من الحقيقة لأن أسلوب «الطبطبة» والخوف من العار أو فقدان الحماية من الأب المعتدي على ابنته موجود... وأضافت: الرؤية فلسطينية والمخرجة فلسطينية وأنا شاهدة عيان لحالة اغتصب الأب فيها ابنته وحملت منه سفاحاً، وجاءت الأم ليس للشكوى على زوجها وإنما لاستشارتنا في كيفية تخلص ابنتها من الجنين... ما نقلته المخرجة الطيراوي في فيلمها موجود بواقعنا وليس بالإيعاز من أحد.

وتحدثت النساء في عرض طولكرم، والعرض الذي استضافه مركز المرأة للإرشاد القانوني في الخليل، عبر شهادات حية، بعضها لطبيبات متخصصات في النسائية والتوليد، عن قضية غاية في الأهمية، وهي تواطؤ الأمهات في الأسر التي تتعرض البنات فيها لاعتداءات جنسية داخل العائلة، وصمتهن، وبحثهن الدؤوب عن التخلص من الأجنة في حال حدوث حمل بدلاً من إسناد بناتهن والبحث عن طرق لمعاقبة الجناة، في حين تغض بعض الأمهات الطرف عن تحرش أزواجهن أو أبنائهن ببناتهن، رغم علمهن التام بما يحدث، من باب «عدم كشف المستور»، و«الخوف من الفضيحة»، مشيرات إلى أن هذه الأدوار السلبية للأمهات تساهم في ازدياد الاعتداءات الجنسية داخل العائلة، ومشددات على ضرورة المكاشفة بين الضحايا وأمهاتهن، وهذا ما أكدته المحامية هيام قعقور، رئيسة قسم الخدمات في المركز.

ولدى عرض الفيلم في النادي النسوي التابع لجمعية تنمية المرأة الريفية في بيت فجار، قرب بيت لحم، أكدت المشاهدات أهمية الفيلم، وجرأته، خاصة أنه يقدم الواقع والتوعية، والدعم النفسي أيضاً، فهو ووفق العديد من المشاهدات فيلم ضد الصمت، وبالتالي مع تعزيز الذات، والنظر بتفاؤل إلى المستقبل، وعدم اليأس.

واستقطب الفيلم في العرض الذي استضافه النادي النسوي التابع لجمعية تنمية المرأة الريفية في حوسان قرب بيت لحم، وحسب كفاح مناصرة المشرفة على العروض، فإن الفيلم أثار نقاشاً حيوياً بين السيدات، واللافت أنه استقطب الفتيات أيضاً، رغم أنه يتحدث عن موضوع خاص وحساس وفق ما عبرت عنه بعض المشاهدات... وتضيف مناصرة: استخلصت المشاهدات من عرض الفيلم خصوصية وضع المرأة الفلسطينية التي تعاني داخل المنزل وخارجه، وأنه بيدها إذا ما تخلت عن مخاوفها، وكسرت جدار الصمت، أن تخرج من الواقع المجتمعي الصعب الذي تعيشه، مستنكرات المعاقبة المجتمعية للمعتدى عليهن في حالات «سفاح القربى»، في حين أن المعتدين أحرار طلقاء.

وحول عرض الفيلم في جامعة النجاح الوطنية، والذي استهدف طلاب وطالبات أقسام الإعلام، وعلم الاجتماع بالأساس، إضافة إلى طلاب من أقسام أخرى، وممثلين عن مؤسسات المجتمع المدني، تقول روضة بصير، مديرة مركز الدراسات النسوية: وصف الجمهور الفيلم بالرائع من حيث الفكرة، والتنفيذ، خاصة ما يتعلق بالصورة، والإضاءة، والرؤية الإخراجية، مشيرين إلى أن خصوصيته تكمن في كونه يتطرق لموضوع مسكوت عنه داخل المجتمع الفلسطيني، و«يضرب على الوتر الحساس».

ومن وحي الفيلم، تطرقت الفتيات إلى مواضيع شائكة منها التحرش من قبل الشبان، سواء أكانت الفتاة محجبة أم لا، وإلى دور الحركة النسوية في حماية ضحايا «سفاح القربى» أو «زنا المحارم»... والتهبت القاعة حين اعترف أحد الشبان بأنه وعلى الرغم من كونه ينتمي لأسرة محافظة إلا أنه «ما بترك أي بنت من شره».

وأشارت بصير إلى أن الحضور أكد أهمية استخدام فيلم «فرط رمان الذهب» في التوعية، بل إن البعض ذهب إلى ضرورة تدريس مساقات خاصة بالتربية الجنسية في المدارس والجامعات، بطريقة لا تخدش الحياء العام من جهة، ومن جهة أخرى تحقق غرضها في التوعية.

من جهته قال أيمن النمر، مدير إذاعة صوت النجاح: الفيلم كان رائعاً على كل المستويات: الفكرة وطريقة المعالجة والتقنيات، علاوة على كونه استقطب جمهوراً واسعاً من داخل وخارج الجامعة.

وأضاف: شعرنا أن اهتمام الحضور بالفيلم كان كبيراً بحيث تجاوزوا الوقت المحدد للنقاش... تم إنهاء النقاش في ذروته، وهذا يعني أن النقاش لا يزال مفتوحاً... إضافة إلى أن موضوع الفيلم فتح آفاقاً إضافية في النقاش حيث تشعب إلى حوارات جانبية بحيث تطور باتجاه مناقشة سلوكيات الطلاب والطالبات في الجامعة... الفيلم خلق نقاشاً لم يكن بالإمكان فتحه لولا عرض الفيلم، وبالتالي منح «فرط رمان الذهب» فرصة لجمهور الطلبة للحديث في مواضيع من الأمور المحرم مناقشتها في غير مناسبة.

وختم النمر حديثه: أشعر بالفخر أن العرض في جامعة النجاح الوطنية مر بسلاسة، وأنه سادت حالة من التفهم لرسالة الفيلم رغم تحفظ جهات أخرى عليه، نتيجة تركيزها على جزئيات صغيرة ليست هي رسالة «فرط رمان الذهب».

عن مسرحية قصص وبقايا وطن وصوتنا المتعب وفضائنا القليل

منال خميس*

عندما وُجهت لي دعوة لحضور مسرحية «قصص وبقايا وطن» التي ستعرضها فرقة «مسافات» في اطار فعاليات اسبوع مهرجان فلسطين المسرحي، لم يخطر ببالي حين قرأت العنوان ان ما سيعرض سيكون مختلفاً عما نشاهده في تغطيات الفضائيات الاخبارية والوثائقية، على أساس أننا نمتلك أكثر الأوطان استباحة، وقصصه هي السلع المستهلكة والمنتهكة محلياً وعربيا وعالميا مع اختلاف وتلون شاشات العرض، وقال حينها صوت في رأسي: ماذا تبقى من الوطن ليعرضوه؟.

وتبدل رأيي أثناء حضوري العرض، فصحيح انها ليست المرة الأولى التي يتم فيها طرح قصصنا السابقة واللاحقة والعالقة، ولكن ليس بهذه الرؤيا المفتوحة التي قدمتها «مسافات» فقد قالت لنا باختصار، أن فضاءكم قليل، ثمة امر واقع وأنتم مزيج من نكبات تقدم وجبات فاخرة لاصحاب المصالح..هذا هو صوتكم المتعب. هذه هي غزتكم.. ع المكشوف. هيك (خبط لزق) قذفت المسرحية كل شيء في وجوهنا .

المسرحية، عبارة عن لوحات متلونة، مختلفة يصلها خط درامي واحد، يلملمها لتحكي بسخرية قصة الوجع في غزة : الحصار، الانقسام، البطالة، مشاكل الحياة اليومية، الأسرى، الذكرى، ضياع الشباب، الحزن، الألم، اليأس، تحكي عن فتاة بلجيكية من اصل فلسطيني وصلت الى غزة عبر احد الانفاق، يستقبلها شاب غزي، يفشله الواقع في كل شيء وعمل في كل شيء ليستمر بالحياة، تعيش في بيته مع العائلة هو يريد مغادرة القطاع فيسعى للزواج منها كوسيلة للخلاص وهي تريد البقاء في غزة فتسعى للزواج منه ولكن في النهاية تفشل قصتهما .

وعلى مدار ساعة وثلث الساعة من الضحك الاسود المتواصل المنزوع من رحم الوجع، استطاعت «مسافات» بعيداً عن الشعارات والولولة والندب الطويل أن تقدم لنا وجبة مسرحية، خفيفة على القلب، خالية من البكائيات المقصودة التي اعتدنا رؤيتها في جميع وسائط عرض نكباتنا المتتابعة وعرضت بسخرية الواقع بمجموع تناقضاته واصطفافاته «كل غزة علاّمة ... كلياتهم مثقفين ... وليك إحنا ... مش عارف شو أقولك ... الله أكبر على هيك شعب. حصوة في عين اللي شافنا و لا صلاش على النبي ... عين اللي ما يصيبنا اتفسقلنا. كلنا بنفهم بكل اشي و بنفتي بكل اشي ... بالفن فننجية ...بالسياسة سيسنجيه ... بالثقافة ثقفنجية ... بعدين إحنا الشعب كلنا قلوبنا على بعض ..كلنا قبل ما نام بنبوس بعض ... كل واحد بروح على جاره و ببوسه و بنام ». هذه اللوحة جاءت على لسان الراوي «مفيد» لتتلملم مع اللوحات الاخرى بقية العرض .

للوهلة الأولى، يبدو العرض كوميدياً، لكنه في حقيقة الأمر شديد السواد وقهقهات الجمهور كانت احياناً تغطي على العرض، خصوصاً حين تطرقت المسرحية لتوابع الانقسام والدولار والسولار .. قال الرجل الجالس خلفي لمرافقه « الناس مش هيه.. بتضحك بجنون.. اشك انه احنا الآن في غزة »، الصوت في رأسي قال له: مسكين انت، ان انزياح الخارج، لا يعني الانعتاق، تضحك وتضحك وتضحك وانت تدرك تماما مأساتك في عدم القدرة على اجتياز الألم، جميعنا يتبع طريقه بخطى حثيثة الى المسالخ ذاتها هذه هي غزة ببالغ وقاحتها، تجتاز موجة تلو اخرى تعتقد انها الاخيرة فتأتيك موجات بعدها .اذن المشكلة ليست في العنوان(بقايا وطن) هي مشكلة فهم لكيفية استنطاق مفاهيم اساسية كالحق والاحترام والاختلاف والحوار والغطرسة حين الاصغاء للآخر.

كل الاحداث في المسرحية تقول: في غزة كل شيء مظلم وانت وحدك بأوجاعك تضيء!!لا احد مسؤولا عن وجعك، عالج جرحك المنسي وحدك، فلكل منا)سجنه الخاص(هذا ما قاله رامي احد ابطال المسرحية :(لكل منا سجنه الخاص) وهذا ما توصلت اليه ايضا «جولييت» « الوطن صار سجن.. والفكرة سجن.. والمعرفة سجن.. وكل واحد حابس نفسه في نفسه.. معاك حق يا رامي.. لكل واحد سجنه.. هالقيت بديت أفهم. الروح طير.. طير محبوس في الجسد. بتقدرش تسافر.. بتقدرش تغرد..»

ومع كل مقطع في المسرحية كان الصوت في رأسي يكرر : الكل لص. يسرق منا ما يشاء وقتما يشاء، والوقت، لا يكِلِ ولا يمَلّ ولا يموت فهل يمكن للانسان ان يكمل حياته برأس محني والمطارق تدق فوقه؟

ولم يمنع تعداد الراوي لمجمل نكباتنا الفلسطينية من سيطرة روح المكان والزمان، وروح غزة على المسرحية فكان العد سيرا وعبورا باتجاه ملامح نكباتنا دون ترتيب لانها تندغم ببعضها لتشكل في النهاية، ملمحاً واحداً حاداً ووقحاً حد الصفاقة . « مره كان واحد كبير الا هو صار زغير .. مره وحده كانت بدها تيجي الا هي راحت .. مره كان واحد الا هو صار اتنين ... مره واحد .. اتنين .. تمنيه واربعين .. سته وخمسين .. سبعه وستين .. تسعه وسبعين .. تنين وتمنين .. الفين .. الفين واتين .. وسته .. وتسعه ..وتمنتعش.. وخمسه وعشرين .. هيييييه ».

وحين يكون لديك فكر مسبق، لا تستطيع ان تمنع نفسك من مقارنة ما يعرض امامك وما تختزنه ذاكرتك الجماعية من واقع، وفي المسرحية، ظهر التكافؤ في صراع الاضداد في تاريخنا، ظهر في أوجاع الناس المسحوقين برحى هذا الصراع ورحى هذه الاضداد، قال الصوت في رأسي «في الوقت الذي نعتقد ان البعض يقودنا للخلاص هو في الواقع يقودنا للخلاص علينا، وتتوالى النكبات، وتنتهي الحرب تلو الحرب، وتنسحب الويلات الى اعماقنا .. تبقى الآلام هي الحاضرة، تتحكم في حياتنا، وطيف من رحلوا وغابوا لا يفارقنا، واصوات العالم تطالبنا بالصمود والتحدي وتعد بالنصر عاجلا ام اجلا ... لكن فقط علينا تدبر حياتنا المؤقتة بطريقتنا الى حين تحقيق هذا النصر المبين المنتظر الذي لم ولن يأتي الى يوم القيامة» .

في المسرح نكتشف انسانيتنا المنتهكة والجمهور الذي اوشك على البكاء من شدة الضحك، كان يعبر عن اعجابه بالعرض بالتصفيق بين فينة وأخرى فقد استطاعت المسرحية ان تخرجه من صمته المقهور ليدخل عالم ضحكات مجلجلة، وفي الوقت الذي كان فيه الفنان رامي السالمي يقول بألم كبير وهو يؤدي دور «الجد» «الناس مش هي الناس .. ولا حدا حابب حدا ولا حدا طايق حدا.. والكل واقف للتاني على كلمة وحرف ... مفش ... مليحة ... ولاد ابنك التنيين ماتوا يا مليحه.. كنت بتمنى يموتوا زي اعمامهم التنيين اللي ظلو يطخو واليهود تطخ عليهم لما صاروا شهداء الله يرحمهم ... إحكيلهم إنو أولاد اخوكو كتلوا بعض ». استطعت اثناء المشهد ورغم العتمة ان ألاحظ «رأفت» الجالس امامي وهو يحتضن يد حبيبته كلما أظلمت القاعة ، قلت : غريبة جدا غزة، تتقطر من بين اصابعها الاوجاع والمسرات، وهي تكاد تشقك في كل شيء الى نصفين. سئمت النظر الى وجهك يا غزة، متى ستكفين عن التكشير ؟

المسرحية تحكي عن الموت المجاني والقهر المجاني، نقلت واقعا قابلا للتفجر والايذاء في أي لحظة، مع انه متفجر داخليا بكل ثانية من اللحظة، تروي قصة الانسان في غزة الذي تتكالب عليه جميع الاشياء والاسماء لتسلب انسانيته، حكت عن النقصان واللافعل، الاستلاب، التهويم، الخوف، الهوية وموقع الفرد في مجتمع مسير لكل اجندات العالم، جاء كل ذلك برؤيا حاول فيها المخرج التمرد على الواقع، فكانت فكرة بث الروح في الصندوق الذي يخرج منه الراوي بين حين وآخر. لنكتشف نحن لذة التأويل، المختبر الحقيقي لكفاءة العمل وقدرته على استثارة المتلقي.

العمل رائع بامتياز وأداء الممثلين لم يكن بالمطلق احادياً فطيلة العرض لم يقف ممثل وحيد على الخشبة تقريباً، ساعة وثلث الساعة من نكبات ململمة، كانت خفيفة جدا على القلب، وقدمت لنا «مسافات» لاول مرة الرائعة «سماح الشيخ» التي كانت بالفعل نجمة متألقة في العرض.

مسرحية «قصص وبقايا وطن» اخراج نعيم نصر

ارتجالات وتمثيل : محمد الهسي، احمد سرحان، رامي السالمي، سماح الشيخ، مفيد سويدان .

مصمم رقصات : مؤمن خليفة

ديكور : مؤمن عامر

اضاءة: احمد قدادة

كلمات وألحان: نعيم نصر

موسيقى وتوزيع: جبر الحاج

* كاتبة من غزة